المفارقة في التجربة العربية والغربية

The Paradox in the Arab and Western Experience

د.سلمى شاهدة*

ISSN (P) 2664-0031 (E) 2664-0023

DOI: https://doi.org/10.37605/fahmiislam.v4i1.196

Received: April 27 ,2021
Accepted: April 30, 2021
Published: June 30,2021

Abstract

The paradox in the language means to differ between two or more things, its meaning differs from one dictionary to the other even though it is closely related. It has its nouns, verbs etc. The paradox idiomatically has been studied by many scholars, authors, literary and elequent people as well as researcher. The meaning of paradox idiomatically had differed from a scholar to the other, a writer had discussed its meaning in a simple way while others discussed it thoroughly, on the other hand some contented by defining it, others studied its relations, its origins etc. Some writers searched in its relations with poems, some expressed its basis. These studies took place by Arabs. While, the Western people as well studied the paradox and searched about it. Many authors, literary people and scholars as well spent days and nights in studying this word. Like the Arabs, the meaning of paradox was different for every researcher, scholar or writer etc. Some discussed it throughly, other simply while some expressed its relation and types and so on. The paradox presents without bias two equivalent and opposing viewpoints. The paradox had then a definition after so many studies took place by different scholars, different writers, literary people and researchers either they were Arabs or Western. The paradox had its relations with poems, art, emotions as well as brain. The paradox affects both the heart and the brain if had been used wisely as if it used so much it will impart a boring, heavy taste to the writing while if it had been used wisely it then will affect both the brain and heart and imparts a good and light taste to the scene. The pradox had been known since ages and it affects the literature either it is a poem or a prose.

Keywords: Paradox Idiomatically, Arab, Western, relations.

* الأستاذ المساعدة بالجامعة الوطنية للغات الحديثةبإسلام آباد—باكستان
salmashahida@numl.edu.pk

أولا — المفارقة لُغة

إبتدًاء علينا أن نّعرج على المعجمات العربية (القديمة والحديثة)

بغية الوقوف على ما له صلة بمعاني هذه اللفظة بمختلف صيغهاواشتقاقاتها .. انطلًاقا من الجذر الثلاثي للفظة (ف، ر ، ق)، إذ قرأفي تضاعيف سطور بعض المعجمات **ما نصه** : ((ألْفرُق : تفرّيق بين فرًقا حتى يفِترَقا ويَتَّفرقا، وتفَارَق القُوم وافترقوا : أي فَارَق بعُضهم بعضا))[1].

ونقرأ أيضًا : ((الفرقان : كل كتاب أنزل به فرُق اِ بين الحقوالباطل[2]))، قال تعالى : ﴿وَاَنۡزَلَ التَّوۡرٰىةَ وَالۡاِنۡجِيۡلَ○ مِنۡ قَبۡلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَاَنۡزَلَ الۡفُرۡقَانَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيۡنَ اٰمَنُوۡۤا اِنۡ تَتَّقُوا اللّٰهَ يَجۡعَلۡ لَّكُمۡ فُرۡقَانًا﴾[4] أي حجة ظاهرة على المشركين، وَظَفَرا.

ومما له صلة بهذا المعنى جاء في التنزيل العزيز﴿فَالۡفٰرِقٰتِ فَرۡقًا﴾[5] أي الملائكة تنزل بالفرق بين الحلال والحرام.

ونطالع معجمات أخر : (الفرقان : القرآن، وكل ما فرَق به بين الحق والباطل، فهو فرقان)[6] ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ اٰتَيۡنَا مُوۡسٰى وَهٰرُوۡنَ الۡفُرۡقَانَ﴾[7] وقوله تعالى: ﴿وَمَاۤ اَنۡزَلۡنَا عَلٰى عَبۡدِنَا يَوۡمَ الۡفُرۡقَانِ﴾[8] وهو يوم بدر، لأن ا سبحانه وتعالى أظهر نصره ما كان مفرًقا بين الحق والباطل. وقيل أيضًا (الفرقان : من أسماء القرآن، أي أنه فارق بين الحقوالباطل والحلال والحرام)[9].

أما (الفاروق من الناس، فهو الذي يفرق بين الأمور و يفصلها، من قولنا : فرَق فَرًقا وْفرًقا بالضم، أي فصل)[10].

والمفارقة اسم مفعول لـ(فارق) من الجذر الثلاثي (فرَق)،ومصدرها (فرْق)، بتسكين الراء. والفرق خلاف الجمع، وهو تفريق بينشيئين.[11]

ومفرق الطريق متشعبه الذي يتشعُب منه طرق أخرى، ويقال :

(فارق الشيء مفارقة وافترقا أي باينه)[12].

وجاء في المعجم الوسيط: (فرَق بين الشيئين، فرًقا، وفرقًانا :فصل وّميز أحدهما عن الآخر، وبين الخصوم : حكم وفَصَل[13]، ومماَيؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَافۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ الۡقَوۡمِ الۡفٰسِقِيۡنَ﴾[14] وبين المتشابهين، بيان أوجه الخلاف بينهما.

وقيل : (ألْفرُق) بين الأمرين : المميز أحدهما من الآخر.

وفي مختار الصحاح، نطالع ما نصه (فرَق بين الشيئين من باب نَصَر، وفرقًانا أيضًا فرق الشيء تفريقا .. وأخذ حقه منه بالتفاريق.[15]

من خلال سياحتنا في المعجمات العربية قديمها وحديثها،نخلص الى أن المفارقة هي الفرق والافتراق والفصل والتباعدوالتباين والتمييز بين شيئين أو أمرين أو موقفين .. لا سيما إذا كان هذان الأمران على طرفي نقيض، أو أن أحدهما خلاف الآخر، أوبالضد منه .. ولعل هذا المعنى يبقى أحادًيا، ما لم يردف بالمعنى الاصطلاحي بالمفارقة حتى يستقيم طرفا المعادلة –أي المفارقة– منكلتا زاويتي الرصد.

ثانيا – المفارقة اصطلاًحا

إن المعنى الذي أمدتنا به المعجمات العربية، هو مرتكزنا في البحث عما ينضوي من معٍان تحت مصطلح المفارقة في المظان الأدبية العربية من جهة، والدراسات الغربية من جهة أخرى.

أما ما جاء في كتبنا العربية بشأن المفارقة فحسبنا إن نسبرأغوار المظان الأدبية والنقدية بحًثا عما يفضي إلى بلورة مصطلح المفارقةِ إذ يتضح لنا خلو هذه المظان من لفظة (المفارقة) نفسها ..ظافرين بما يندرج تحت دلالاتها ومعانيها .. فقد أورد الجاحظ ((ت255 هـ)) لنا قولا نصه ((لو أن رجلين خطيا أو تحدثا، أو احتجا أو وصفا وكان أحدهما جمًيلا جلًيلا بهًيا ، ولباسا نبًيلا ، وذا حسبشريفا ، وكان الآخر قلًيلا قمًيئا، وِباذ الهيئة ذميًما، وخامَل الذكر مجهًولا، ثم كان كلامهما في مقدِار واحٍد من البلاغة، وفي وزٍن واحد من الصواب ، لتصَّدع عنهما الجمع وعامتُهم تقضي للقليلا لدميم على النبيل الجسيم، وللَّباذ الهيئة، ولشغلهم التعجب منه عنمساواة صاحبه به، ولصار التعَّجب منه سببا للتعجب به، ولصارالإكثار في شِأنه علة للإكثار في مدحِه، لَّأن النفوس كانت له أحقرو من بيِانه أيأسِ ومن جسِده أبعد، فإذا هجموا منه على ما لميكُونوا يحتُسبونه، وظهر منه خلاُف ما قُدروه، تضاعَف حْسُن كلامهفي صدورهم ، وكُبر في عيونهم ، لَّأن الشيَء من غير معدنه أغربو كلما كان أغرب كان أبعد في الوهم ، وكلما كان أبعد في الوهمكان أطرف، وكلما كان أطرف كان أعجب ، وكلما كان أعجب كانأبدع))[16]. لو تقصد الجاحظ أن يفصل في المفارقة مصطلًحا

نقدًيا لما كان أكثر دًقة وأشُّد وضوًحا مما ذكر ، ولكنه كان يفصل في بابِالبلاغة وتعريفها، وهي أقرب ما تكون لدلالة المفارقة.

وعالج ابن قتيبة ((ت 276 هـ)) ظاهرة التَّطير والتفاؤل عندالعرب من زاوية رصد مقارب للمفارقة ، وذلك ما نقله عن الأصمعي:

((سألت ابن عوف عن الفأل فقال : هو أن تكون مريضًا فتسمع : ياسالم ، أو باغًيا[17] فتسمع يا واجد[18])). ونجد في كتاب البديع لابن المعتز ((ت 296 هـ)) نصوصًا شعرية ونثرية، تزخر بأنواع الفنون البديعية، والتي تقترب إلى مفهوم المفارقة ، منها ما ورد في البابالأول من البديع وهو الاستعارة ، حيث ذكر لنا نصًا لأبي بكرالصديق (رضي ا عنه) جاء فيه : ((وقال أبو بكر الصّديق رضيا عنه وذكر الملوك فقال إن إذا ملك أحًدهم زهده ا في مالهورغبه في مال غيره وأشَرَب قُلبه الاشفاق وهو يحسُد على القلِيل ويتسّخط الكثير جذُل الظاهر حزين الباطن فإذا وَجَبْت نفسه ونضب عمره وضحا ظله [حاسبه ا عز وجّل] فأشّد حسَابه وأقّلغفره[19])). يعرض لنا النص حالتين متضادتين هما زهد الملك فيماله، و إقباله على مِال غيره ، وهذا الموقف يكون بدافع من اعز وجل. هذا التضاد الظاهر هو مفارقة صنعها ا، ضحيتهاالملك ، ونهايتها مأساوية

((من وجهة النظر هذه يكون المثل الأعلى لصاحب المفارقة هو اِ إنه صاحب مفارقة دون منازع لأنه عليم ،قدير ، متعال ، مطلق ،لا يحّده حّد ، طليق . والمثل الأعلى للضحية، على نقيض ذلك ،يرى متورًطا مغموًرا في الزمن والمادة ، أعمى ، طاًرئا ، مجدًدا غيرطليق. مطمًئنا في عدم وعيه إن هذه هي ورطته))[20] . ثم نجده يحسد على القليل ، ويسخط الكثير.. فرح في ظاهره ، حزين في باطنه ، التناقض الشعوري للملك والذي أفرزه منصبه، هو مفارقة شعورية لأن ((المفارقة شكل من النقيصة))[21] . وفي نهاية المطا فيكون حسابه عند ا عسًيرا ، والأمل في الغفران قلًيلا. وا أعلم هنا أحداث متناقضة تصطبغ بالكآبة وتنتهي بموقف مأساوي . يقول(كونوب ثرلوال): ((التناقض بين الإنسان بآماله ومخاوفه وأعمال هو بين القدر المظلم العنيد يقدم مجًالا واسًعا للكشف عن المفارقةالمأساوية))[22] . وضمن هذا الإطار. المفارقة المأساوية القدرية. فقد ذكر ابن المعتز في موضوع الطباق قول سهل بن هارون بما نصه :

((من طلب الآخرة طْ َلبته الدنيا حتى توفر رزقه منها ومن طلب الدنيا طلبه المؤت حتى يُخرجه منها))[23]. فالقدر يلاحق الإنسان ،فإذا طلب الدنيا وهب له الموت ، وإن أراد الموت وهبت له الدنيا.

وهناك مصطلحات بلاغية عربية قد لامست بعض دلالاتمصطلح المفارقة، من ذلك التعريض في رأي ابن رشيق القيرواني((ت 456 هـ)) القائل : ((ومن افضل التعريض مما يجل عن جميع الكلام قول ا عز وجل : (ذُق إنك أنت العزيز الحكيم) أي : الذي كان يقال له هذا، أو يقوله وهو أبو جْهل، لأنه قال: ما بين جبليها يعني مكة . أُعز مني ولا اكرم، وقيل : بل ذلك على معنى الاستهزاء به))[24]. لقد كان موقف أبي جهل ، موقف مفارقة كوميدية، نهايتها مظلمة، وقد أوضح ابن رشيق ذلك من خلالت عليقه على الآية الكريمة . وفي باب التشكيك يذكر لنا ابن رشيققول زهير بن أبي سلمى :-

وما أدري وسوف إخُالأدري		أقوم آل حصٍن أم نساء
فإن تكن النسُاء مخبآت		فحق لكل محصِنة هدُاء[25]

ثم يعلق عليها قائًلا: ((فقد أظهر أنه لم يعلم أنهم رجال أمنساء ، وهذا أملح من أن يقول هم نساء، وأقرب إلى التصديق))[26]. وهذا أقرب ما يكون إلى المفارقة السقراطية[27]. ويعرض لنا عبدالقاهر الجرجاني ((ت471 هـ)) في فصل التشبيه المعقود علىأمرين وليس بتمثيل مفهوما يقارب المفارقة فيقول: . ((ومثال مايجئ فيه التشبيه معقوًدا على أمرين إلا أنهما لا يتشابكان هذاالتشابك قولهم (هو يصفو ويكدر ويمر ويحلو ويشج ويأسو ويسرجويلجم) لأنك وإن كنت أردت أن تجمع له الصفتين فليست إحداهما ممتزجة بالأخرى))[28]. فالأمر عنده عرض صفتين متضادتين ، لغرض إحكام التشبيه المعقود على أمرين . والحقيقة إنه عرض : ((نظرة فيالحياة تجد الخبرة عرضة لتفسيرات متنوعة، ليس فيها واحدة صحيحة دون غيرها، وذلك لأن التنافرات جزء من طبيعة الوجود))[29]. أما ابن الأثير ((ت 637 هـ)) فقد عرف التعريض بأنه ((اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي أو المجازي))[30]. ومن هنا يتضح أن فهم التعريض هو الأساس، وهذا المفهوم يقارب مفهوم المفارقة، حيث لا مفارقة إن لم يدرك المتلقي أبعادها ويفك رموزها. وقد أورد أبن الأثير قوله

تعالى: ﴿قَالُوٓا ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ○ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ○﴾[31]. معّلقا على ذلك بقوله :((غرض إبراهيم ـ عليه السلام ـمن هذا الكلام إقامة الحجة عليهم لأنه قال : فاسألوهم إن كانواينطقون، وذلك على سبيل الاستهزاء))[32].

فالمفارقة هنا ضرب من التّأنق، من الناحية الأسلوبية، وهدفه االأول كما يقول (ماكس بيريوم):((إحداث أبلغ الأثر بأقل الوسائلتبذيرا. وصاحب المفارقة المتّمرس يستعمل من الإشارات أقلها))[33].وسيدنا إبراهيم (عليه السلام) أراد إيصال فكرة أو رسالة فحواهاأنكم تعبدون ما لا ينفع ولا يضر، وهذه العبادة بحد ذاتها مفارقة ،يقول ميويك: ((عندما تكون الصورة فكرية أو أدبية سواء بالإفص احعن قول أو بإيصال رسالة فإنها عند ذلك تتصف بالمفارقة))[34].

وفي باب تجاهل العارف عند ابن أبي الإصبع المصري ((ت654 هـ)) جاء ما هو قريب عن مفهوم المفارقة السقراطية إذ يقول: ((وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهًلا منه به ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم، أو ليدَّل على شدة التَّدله في الحب، ولقصد التعجب، أو التقرير، أو التوبيخ))[35]. ونجد أيضا تأكيد المدحبما يشبه الذم يدخل أيضا تحت خيمة المفارقة وقد عالجه نقادنا وعلماؤنا ، وسنأتي عليه بالتفصيل في الفصل الثاني من هذه الدراسة. إن شاء ا. وهكذا تضيء مصادرنا القديمة بالكثير من الأس اليب البلاغية التي تجمع بين النقيضين، والتي تدخل في إطار مفهوم المفارقة .

وإذا تفحصنا الدراسات العربية الحديثة التي تناولت المفارقة مصطلحا نقدًيا، فسنرى أن بعضًا منها أضاف لبًنة في بناء مصطلح المفارقة، مما جعلها اكثر وضوحا في الذهن. وبعضها الأخر بداالمصطلح فيها غامضًا.

ففي بحث أنجزته الدكتورة نبيلة إبراهيم عن المفارقة ،وعنوانه ((المفارقة))، أكدت فيه أن الدعامة الأساسية للمفارقة، هوِ إقامة علاقات ذهنية بين الألفاظ[36]، وأغنت المفارقة بإيراد أقدمنص عربي ورد فيه مصطلح المفارقة، ويعود إلى الشيخ حسنا لا لآتي رحمه ا ـ ومؤُلد هذا النص عام 1889م[37].

وفي دراسة مستفيضة لشعر ابن سناء اُلملك للدكتور عبدالعزيز الأهواني نقرأ ما نصه: ((إن ما نسميه بالمفارقة إنما هوتسجيل التناقض بين ظاهرتين لإثارة تعجب القارئ دون

تفسًيراوتعليل))[38]. وفي موضع أخر يوضح أن المفارقة في الشعر العربي كثيرة بعضها ينبع عن إحساس صادق والأخر يجنح إلى التفكير العقلي حيث تكون المفارقة مزيًجا بين العاطفة والعقل[39].

أما دراسة الدكتور عبد ا الغذامي فتتميز بالجوانب التطبيقية للمفارقة مقارنة بالجوانب التنظيرية، التي جعلت من الآلية الثنائية (المداخلة / المفارقة) أساًسا تنطلق منه لتشكل المفارقة عن طريق التناص[40]. إما الدكتور مصطفى السعدني فهو يؤكد إمكانية تحقيق المفارقة على المستويات الصوتية والتركيبية والدلالية والإيقاعية[41].

والدكتور محمد لطفي اليوسفي، يُعد المفارقة جوهر الحداثة والانفتاح، لأنها وحدها قادرة على إقامة عالم جديد مخيل على أنقاض عالم الواقع المعيش، وهذا الانهدام لعالم الواقع والبناء في عالم الخيال هو خطوة ضرورية ودقيقة في طرق التغيير[42]. ويتناولالدكتور عبد الهادي خضير المفارقة في دراستين غنيتين على

إيجازهما، يتجاوز فيهما المفهوم الشائع للمفارقة بوصفها صياغة لغوية قائمة على تناقض بين معنى ظاهر وأخر خفي ، كما أكد أهمية المفارقة في رفع مستوى النص الشعري، وضرورة أن يوازن الشاعر في مفارقاته بين العقل والمشاعر ، وهو يُعد المفارقة عمًلا عقًليا، والشعر وليد الأحاسيس والمشاعر[43]. وخلص من دراسته إلى تعريف للمفارقة هو : ((تعبير لغوي بأسلوب بليغ يهدف إلى استثارة القارئ وتحفيز ذهنه لتجاوز المعنى الظاهري المتناقض للعبارة، والوصول إلى المعاني الخَفية التي هي مرام الشاعر الحقيقي))[44].

وترى سيزا قاسم في المفارقة: ((لعبة عقلية من أرقى أنواع النشاط العقلي وأكثرها تعقيًدا))[45]. وفي بحث الدكتور أحمد إسماعيل النعيمي ((المفارقة موضوًعا شعًريا ـ قبل الإسلام)) ما يمكن إننعده نواة دراستنا هذه ـ إن شاء ا، لكونه يرى في المفارقة مايراه ميويك، وفي بحث الدكتور أحمد النعيمي نطالع رًأيا مستنبًطامن مجمل أراء النقاد الغربيين والعرب، فضًلا عن المعجمات العربية و خلاصته ((إن المفارقة تقدم بلا تحيز وجهتي نظر متعادلتين متعارضتين .. و إن التفريق هو أبرز ما يتخذ صفة المفارقة))[46] .و الجديد الذي نظفر به في دراسة النعيمي، هو إنه عد الأديب أو الشاعر ((هو المفرق بين شيئين أو أمرين أو موقفين، متعار ضينفي المظهر و واقع الحال، أو السطح والعمق، أو الغشاوة والصفاء، وقيلِ إن المفارقة تكون أشد وقًعا عندما يشتد التضاد أو التنافر أو

التناقض. فضلًا عما يفضي إليه هذا التفريق، من هزء وسخرية وتهكم، وتلميح ومعان أخر، وذلك بصيغة فنية تستحوذ على انتباهناعلى الشكل والمحتوى، وتثير فينا إحساسا بالمفارقة يستقطب القناعة، ويحقق التأثير والاستجابة والمتعة، وهنا يكمن المعناالأدبي للمفارقة))[47]. أما الدكتور خالد سليمان في دراسته ((المفارقةوالأدب)) فيرى في المفارقة جانبين نظَريا وتطبيَّقيا، في الأول أعتمد اعتمادا كُليا على دراسة ميويك (المفارقة وصفاتها))، فهو يوافقه في كل ما ذهب إليه وما عرضه من آراء النقاد الغربيين، بالتعريف بالمفارقة، وأنماطها، وتأثيرها في المتلقي، دون إن يذكررأيه صراحة في ذلك وفي الجانب الثاني من دراسته كان تطبيقيا ،في مجال الشعر والرواية والمسرح[48]. ولا يفوتنا إن نذكر أطروحة قيس حمزة فالح الموسومة بـ ((المفارقة في شعر الرواد)) ومفهومه لها إنها ((مبادرة متفجرة منرؤيا الشاعر، لها وظيفة فنية إثرائية، قادرة على منح الشاعر الذييقتنصها ويشكلها تشكيلا فنيا .. والمفارقة وسيلة أسلوبية تعزز التلقيوتنميه))[49]. وأطروحة محمد ونان جاسم وعنوانها ((المفارقة في القصص الستيني العراقي))، وقد ورد فيها، إن ((المفارقة بنية أسلوبية موضوعها الأساس هو التضاد، ووظيفتها الرئيسة هيتحقيق الدهشة لدى المتلقي من خلال كسر توقعاته، وتحتل حدا فاصلا بين ضدين، وتفصح عن نفسها من دون إن تذكر صراحة، بل يلجأ القول المفارق إلى التلميح والإشارة))[50]. وفي دراسة جامعيةلألهام مكي

نقرأ فيها إن المفارقة ((سمة أسلوبية أساسها عقد علاقات متضادة ..وتمثل أداة منهجية للكشف عن شعرية النص الأدبي .. وللمفارقةشكلين رئيسين هما: المفارقة اللفظية ومفارقة الموقف .. أما أنواعهاوتشكلاتها الأخرى فتنطوي نحن هذين الشكلين))[51].

ويذكر ميويك أن أول ظهور لكلمة ((ايرونيئيا)) –eironeia– كانفي جمهورية أفلاطونِ، إذا أطلقت اللفظة على سقراط من قبل أحد الذين يه اجمهم، وقد ظهر بمظهر الجاهل الذي يسال عن أشياء يدعي الجهل بها[52].

واللفظة يونانية الأصل ((إن يتظاهر الشخص بأنه أحمق مما هو عليه)) وتدل أيضًا على أنها ((صفة شخصية في الكوميدية الإغريقية باسم ((آيرون)) –Irony– وتفيد المفرق، أي الذي يفرق بين المظهر و واقع الحال))[53].

والغربيون نقّادا وباحثين أشبعوا مصطلح المفارقة دراسّة وبحّثا،وأصبحت تترى في دراساتهم وبحوثهم في عالم النقد الأدبي المعاصر، فهي عندهم ضرورة لابد من وجودها في دنيا الفن عموما، ودنيا الأدب على وجه الخصوص، وهذا الوجود يتحدد بمقدار الفائدة والجمالية التي تضيفها المفارقة على النص، وفي هذا الشأن يقول(غوته): ((إن المفارقة هي ذرة الملح التي وحدها تجعل الطعام مقبول المذاق))[54]، وفي المعنى ذاته يقول (اناتول فرانس): ((إنعالما بلا مفارقة يشبه غابة بلا طيور))[55].إما إغراق النص بالمفارقة فيجعله مترهّلا مشوّها، ولاسيما :إن المفارقة عملية عقلية، والشعر يعتمد الإحساس ويخاطب المشاعر، ولذا نجد ميويك يعقب على قول (فراس):- ((ولكننا لا نريد لكل شجرة ان تحمل من الطيور اكثر مما تحمل من الأوراق))[56].

إذا التوازن ضروري وحيوي بين العقل والمشاعر لصنع مفارقة مقبولة جميلة تلمس مشاعرنا وعقولنا، ثم أن المفارقة نفسها أداة توازن حيث ((تبقى الحياة متوازنة أو سائرة بخط مستقيم، تعيد إلى الحياة توازنها عندما تحُمل على محمل الجد المفرط،أولا تحملعلى ما يكفي من الجد، كما تظهر بعض المؤلفات المأساوية، فتوازن القلق، لكنها كذلك تقلق ما هو شديد التوازن))[57]. وبعضهم يرى أن المفارقة ومنها – المفارقة المأساوية- هي نتيجة حتمية للصراع الأزليبين الإنسان وقدره، في محاولة منه لاثبات وجوده في هذا الكونالمخيف المؤلم، يقول (كونوب ثرلوال) عن ذلك :-((إن التناقض بين الإنسان وأماله ومخاوفه واعماله والقدر المظلم العتيد يقدم مجّالا واسّعا للكشف عن المفارقة المأساوية))[58]. أما (أ.ر. تومبسن) فيرى :-((إن المفارقة لا تكون مفارقة إلا عندما يكون أثرها مزيّجا من الألموالتسلية))[59]. هذا المزيج بين الألم والمرح بحد ذاته مفارقة ،ومنثم فإن ما يخرج عن هذا المزيج مفارقة مأساوية حادة، أما دلالة المفارقة عند (توماس مان) فهي تجمع بين المعاني المتضادة وأحيان الدرجة عالية من التضاد كونها ((شيطانية وإلهية مّعا، عدمية و شاملة، موضوعية وودية))[60] ، في آن.

أما دعاة البلاغة فقد جعلوا للمفارقة مفهوّما بلاغّيا، من حيث إفادتها ((إحداث أُبلغ الأثر بأقل الوسائل تبذّيرا))[61]. هذا فضلا عنصياغتها صياغة فنية تستحوذ على انتباه المتلقي، وتثير إحساس هو تكسب قناعته أو تحقق له المتعة والفائدة والتأمل، إذ أن المفاجأة والدهشة عنصران مهمان في

تكوين المفارقة، فالمفاجأة ولحظة هتك أُلحجب عند المتلقي، تظهر العالم المألوف برؤية جديدة[62]، لكونها صياغة جديدة لعالم الشاعر والمتلقي في آن.

ثم أن التوقع والانتظار هما جوهر التقنية الجمالية للمفارقة، فكلما زاد الفرق بين ما يتوقع حدوثه وبين ما يحدث فعًلا تبدوالمفارقة اكثر وضوًحا وأعمق أًثرا. فشدة التضاد والتنافس بين وجهتي النظر المعروضتين، تدفع المفارقة إلى ذروتها الفنية والفكرية، يقول ميويك في هذا الشان :((إن المفارقة تقدم بلا تحيز وجهت ينظر متعادلتين متعارضتين .. وإن التفريق هو أبرز ما يتخذ صفةالمفارقة))[63]. هذا المفهوم أو التعريف للمفارقة اكثر ما يُهمنا، لانه يوصلناِ إلى ماله علاقة بالمعنى اللغوي في معجماتنا العربية.

على وفق ما تراكم لدينا من معاٍن ودلالات للمفارقة مجملين إياها في المفهوم الذي نرجو إن يغدو جامًعا مانعا وفحواه : ((هي أسلوب بلاغي عالي التقنية، أساسه عرض وجهتي نظر متعادلتين متعارضتين متضادتين، بين مفهوم عام شائع وآخر ذاتي فكري، وكلما أشتد التضاد بينهما برزت المفارقة، مما يضفي الوضوح والإيجاز والجمالية على النص الأدبي عامة والشعري خاصة من جهة،وما تؤديه من دلالات أو معان عدة من جهة أخرى، شرط إن تستفزذهن القارئ وتحفزه لتجاوز المعنى الظاهر إلى المعنى المقصودللشاعر)). فالمفارقة تحتاج إلى ذهن متوقد وروح ذكية من الأديب أو الشاعر والمتلقي على السواء، حتى يحال النص الشعري إلشلال من الحيوية المتدفقة على المستويين الفكري والفني، وبذلكيمتلئ النص بالإثارة والمتعة والإفادة والاستجابة لدى المتلقي.

والمفارقة تغلغلت في تضاعيف بعض نصوص الملاحم القديمة، ولا سيما ملحمة كلكامش[64] الزاخرة بالمفارقات التي أغنت النص الشعري وأعطته دفقة وحيوية.

وقد اشار دي. سي ميويك الى وجود المفارقة في نصوص ملاحم الشعوب القديمة[65].

ويتضح لنا أن المفارقة ظاهرة أدبية عرفتها ملاحم الشعوب القديمة على اختلافها، وهي قديمة قدم قدرة الإنسان على إبداع الفن وتذوقه[66]. شعًرا ونًثرا.

وإذا تقدمنا في الزمن حتى عصر ما قبل الإسلام ، فسنجد المفارقة تتخلل النتاج الشعري لهذا العصر ، في البعدين الفكريوالفني ، وسنحاول رصد هذه الظاهرة التي تتجلى عند الشاعرالجاهلي، الذي يمتلك ذهًنا فطنا، وروًحا محلقة في سماوات الإبداع والجمال، وتمًّكنا مذهًلا من اللغة ، ما أعطاه

قدرة مميزة على نسج مفارقات . بوعي في الأغلب الأعم . عبرت عن تناقض اتواقعه الصعب، ومشاعره الملتهبة المكبوتة، بإرادته التي روضتها العادات و التقاليد الاجتماعية، وطموحاته الإنسانية والتحديات التييواجهها، والتي تأخذ في داخله بعًدا نفسًيا مؤًلما، فالمفارقة عند الشاعر الجاهلي مخاض وألم وتطلعات، فلا بد أن هناك وثيقة بين المفارقة والخطاب الشعري الجاهلي شأنها في ذلك شأن بقية عصور الشعر، بسبب التناقضات والتضادات الوافرة التي يرزح تحت لوائها العصر برمته، وقد آثرنا اختيار المحاور الفكرية المفضية إلى المفارقة، التي يمكن تلمسها في محاورالحياة والموت،والقيم الاجتماعية و الأخلاقية، والتجارب الوجدانية، والأبعاد الدينية. لاستحواذها على الفكر والنشاط اليومي للإنسان الجاهلي، و لا سيما إفصاح شعراء العصر عنها..

---

[1] كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي : دار صادر ، الطبعة الثانية ، بيروت ، د. ت: 147/5.

Kitab Al-Ain, Al-Khalil Bin Ahmad Al-Farahidi: Dar Sader, Second Edition, Beirut, Dr.T: 5/147.

[2] المصدر نفسه :

5/148. Ibid: 5/148.

[3] سورة آل عمران : الآية 3-4.

Surat Al-Imran: verse 3-4.

[4] سورة الأنفال : الآية 29.

Surat Al-Anfal: verse 29.

[5] سورة المرسلات : الآية 4.

Surat Al-Mursalat: Verse 4.

[6] كتاب جمهرة اللغة ، ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي : دار صادر ، الطبعة الثانية ، بيروت ، د. ت: 147/5.

The Book of the Language Population, Ibn Duraid, Abu Bakr Muhammad Ibn Al-Hassan (d.321 AH), the edition of the Ottoman Board of Knowledge. Hyderabad, Deccan - 1345 AH, Dar Sader, Beirut, Dr. T (raa'a and fulfillment).

[7] سورة الأنبياء : الآية 48.

Surat Al-Anbiya ': Verse 48.

[8] سورة الأنفال : الآية 41.

Surat Al-Anfal: verse 41.

[9] مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر عبد القادرالرازي (ت666 هـ) دار الرسالة،الكويت—1983 م : (فرق).

Mukhtar As-Sahah, Muhammad ibn Abi Bakr Abd al-Qadir al-Razi (d.666 AH) Dar al-Risalah, Kuwait - 1983 CE: (Difference).

[10] المصدر نفسه: للإمام الرازي : (فرق).

Ibid: by Imam Al-Razi: (Difference).

[11] لسان العرب ، ابن منظور(711 هـ) ، دار صادر ، الطبعة الثانية ، بيروت ، د. ت: (فرق).

Lisan al-Arab, Ibn Manzur (711 AH), Dar Sader, second edition, Beirut, d. divide).

[12] المصدر نفسه : (فرق).

Ibid.

[13] المعجم الوسيط ، إخراج الدكتور إبراهيم أنيس واخرين ، وباشراف حسن علي عطيةومحمد شوقي أمين ، الطبعة الثانية: 685/2.

Al-Waseet Dictionary, directed by Dr. Ibrahim Anis and others, supervised by Hassan Ali Attia and Muhammad Shawqi Amin, second edition: 685/2.

[14] سورة المائدة : الآية 25.

Surat Al-Ma`idah: Verse 25.

[15] مختار الصحاح : للإمام الرازي : (فرق).

Mukhtar As-Sahah: for Imam Al-Razi: (difference).

[16] البيان والتبيين : أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : تحقيق وشرحعبد السلام محمد هارون : 1 / 89.

Al-Bayan and Al-Tabiyyin: Abu Uthman Amr Ibn Bahr Al-Jahiz: An investigation and explanation of Abd al-Salam Muhammad Harun: 1/89.

[17] طًالبا .

A student.

[18] عيون الأخبار ، ابن قتيبة ، أبو محمد عبد ابن مسلم (ت 276 هـ) المؤسسة المصريةللطباعة – 1963 م : 119 ، 120 .

Uyun al-Akhbar, Ibn Qutaybah, Abu Muhammad Abdullah Ibn Muslim (d.276 AH), the Egyptian Foundation for Printing - 1963 AD: 119, 120.

[19] كتاب البديع ، عبدابن المعتز ، دار الحكمة، دمشق، د . ت: 4.

The Book of Badi ', Abdullah bin Al-Mu'taz, House of Wisdom, Damascus, d. D: 4.

[20] المفارقة وصفاتها، دي. سي. ميويك، ترجمة الدكتور عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمونللترجمة والنشر، بغداد – 1987 م : 59.

The paradox and its qualities, D. C. Mewick, translated by Dr. Abdul Wahid Lou'ula, Dar Al-Mamoun for Translation and Publishing, Baghdad - 1987 AD: 59.

[21] المفارقة والأدب دراسات في النظرية والتطبيق، وتأليف الدكتور خالد سليمان، دار الشروق، الطبعة الأولى، عمان – 1999 م : 7 .

Paradox and Literature Studies in Theory and Practice, authored by Dr. Khaled Suleiman, Dar Al-Shorouk, First Edition, Amman - 1999 AD: 17.

[22] المفارقة وصفاتها : دي. سي. ميويك : 33، 34.

The paradox and its qualities: D. C. Mewick: 33, 34.

[23] البديع : لابن المعتز : 45، 46.

Al-Badi ': by Ibn al-Mu'taz: 45, 46.

[24] العمدة في محاسن الشعر ، وآدابه، ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي،حققه وفصله وعلق على حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة السعادة، الطبعةالثالثة، مصر – 1963 م: 1 / 304 .

Al-Omdah in the Beauties of Poetry, Literature, and Criticism, Abu Ali Al-Hassan Bin Rashiq Al-Qayrawani Al-Azdi, investigated, separated and commented on the footnotes of Muhammad Mohi Al-Din Abdel Hamid, Al-Saada Library, Third Edition, Egypt - 1963 AD: 1/304.

[25] شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، صنعه الأعلم الشنتمري، مطبعة حليا، الطبعة الأولى، دمشق – 1970 : 132.

Poetry of Zuhair bin Abi Salma, edited by Dr. Fakhr Al-Din Qabawa, made by Al-Alam Al-Shantamari, Hallia Press, First Edition, Damascus - 1970: 132.

[26] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : 2 / 66 .

Al-Umda in the beauties of poetry, its etiquette, and its criticism: 2/66.

[27] المفارقة وصفاتها : دي. سي. ميويك : 27 .

The paradox and its qualities: D. C. Mewick: 27.

[28] أسرار البلاغة، الإمام عبد القاهر الجرجاني، علق على حواشيه السيد محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية للطباعة والنشر، القاهرة – د . ت : 82.

Asrar al-Balaghah, Imam Abd al-Qaher al-Jarjani, commented on his footnotes by Mr. Mohamed Rashid Reda, House of Arab Publications for Printing and Publishing, Cairo - Dr. D: 82.

[29] المفارقة والأدب دراسات في النظرية والتطبيق : د. خالد سليمان :17.

Paradox and literature Studies in theory and practice: Dr. Khaled Suleiman: 17.

[30] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير ، ضياء الدين أبو الفتح نصر ا، مطبعة نهضة مصر ، الطبعة الأولى، القاهرة – 1960 م:57 .

The proverb in the literature of the writer and poet, Ibn al-Atheer, Diaa al-Din Abu al-Fath Nasrallah, Nahdet Misr Press, first edition, Cairo - 1960 AD: 57.

[31] سورة الأنبياء : آية (63– 62).

Surat Al-Anbiya ': Verse (62-65).

[32] المثل السائر في مثل الكاتب والشاعر: لابن الأثير : 2 / 72 .

The proverb in the parable of the writer and the poet: by Ibn al-Atheer: 2/72.

[33] المفارقة وصفاتها : دي. سي. ميويك : 63 .

The paradox and its qualities: D. C. Meweek: 63.

[34] المصدر نفسه : 17 .

Ibid: 17.

[35] تحريرالتحبيرفي صناعةالشعر والنثروبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع المصري ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة : 135.

Editing Inking in Poetry and Prose Making and Explaining the Miracles of the Qur¡¯an, Ibn Abi Al-Isba Al-Masry, Supreme Council for Islamic Affairs, Cairo: 135 36.

[36] المفارقة : الدكتورة نبيلة ابراهيم: مجلة فصول : مج 7 ، ع – 3 4 ،1987:132.

The paradox: Dr. Nabila Ibrahim: Fusoul Magazine: Vol. 7, Vol. 3-4, 1987: 132.

[37] المصدر نفسه : 138 .

Ibid.

[38] ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر ، للدكتور عبد العزيز الاهواني، مكتبة ألانجلو المصرية، القاهرة1962 –م: 105 .

Ibn Sanaa al-Malik and the problem of infertility and innovation in poetry, by Dr.Abdel Aziz Al-Ahwani, The Egyptian Library Not Anjlo, Cairo - 1962 AD: 105.

[39] المصدر نفسه: 107 .

Ibid : 107.

[40] تشريح النص، مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة، عبدا محمد الغذامي، دارالطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان – 1987م : 80 .

Anatomy of the Text, Anatomical Approaches to Contemporary Poetic Texts,Abdullah Muhammad Al-Ghadhami, Dar Al-Tali¡¯a for Printing and Publishing, Beirut, Lebanon - 1987 AD: 80.

[41] البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، مصطفى السعدني، منشأة المعارفبالإسكندرية، د . ت: 213 .

Stylistic Structures in the Language of Modern Arabic Poetry, Mustafa Al-Saadani, Knowledge Institute in Alexandria, Dr. T: 213.

[42] بنية الشعر العربي المعاصر : د. محمد لطفي اليوسفي : دار سراسللنشر : تونس–1985 : 29 ، 30 .

The structure of contemporary Arabic poetry: Dr. Muhammad Lotfi Al-Yousfi: Sras Publishing House: Tunis-1985: 29, 30.

[43] المفارقة في شعر المتنبي : مجلة كلية التربية للبنات – جامعةبغداد : ع 11 / – 3 2000 ، والمفارقة في شعر ايليا أبي ماضي :مجلة لغة الضاد : المجمع العلمي العراقي : ج – 2 1999 م .

The paradox in the poetry of Al-Mutanabi: Journal of the College of Education for Girls - University of Baghdad: pp. 11/3 - 2000, and the paradox in the poetry of Ilya Abi Madi: Journal of the Language of Dhad: The Iraqi Academic Complex: Part 2 - 1999 AD 44.

[44] المفارقة في شعر المتنبي : 91 .

The paradox in the poetry of Al-Mutanabi: 91.

[45] المفارقة في القص العربي المعاصر : سيزا قاسم : مجلة فصول :مج – 2 – 24 1982 : 143 .

The paradox in contemporary Arab storytelling: Siza Qasim: Fusoul Magazine: Volume 2 - 24 - 1982: 143.

[46] المفارقة، موضوًعا شعريا قبل الإسلام : د. احمد إسماعيل النعيمي :مجلة كلية التربية للبنات، العدد 2، سنة2002،بغداد : 2 .

The paradox, a poetic topic before Islam: Dr. Ahmed Ismail Al-Nuaimi: Journal of the College of Education for Girls, Issue 2, 2002, Baghdad: 2.

[47] المفارقة، موضوًعا شعًريا قبل الإسلام: د. أحمد النعيمي، 2 .

The paradox, a poetic topic before Islam: Dr. Ahmed Al-Nuaimi, 2.

[48] المفارقة والأدب دراسات في النظرية والتطبيق : د. خالد سليمان :عمان – 1999 م .

Paradox and literature Studies in theory and practice: Dr. Khaled Suleiman: Amman - 1999.

[49] المفارقة في شعر لرواد : قيس فالح: رسالة ماجستير: كليةالتربية – مستنصرية : 1994 : 7

The paradox in the poetry of the pioneers: Qais Faleh: Master Thesis: College of Education - Mustansiriya: 1994: 7.

[50] المفارقة في القصص الستيني العراقي : محمد ونان جاسم : رسالةماجستير : كلية التربية – مستنصرية : 2000 م/ 1

The paradox in the Iraqi sixtieth stories: Muhammad and Nan Jassim: Master Thesis: College of Education - Mustansiriya: 2000 AD / 1.

[51]

The paradox in the northern migratory Arabic poetry - the poetry of the Pen,Association as a model: Master Thesis: Elham Makki Abdul Karim: College of Education for Girls - University of Baghdad: 2001 AD: 30.

[52] المصدر نفسه : 27 .

Ibid : 27.

[53] موسوعة المصطلح النقدي ، المفارقة وصفاتها : دي. سي. ميويك :5 .

Encyclopedia of the critical term, the paradox and its qualities: D. C. MIWIC: 5.

[54] المصدر نفسه : 16 .

Ibid:16.

[55] المصدر نفسه : 18 .

Ibid:18.

[56] المصدر نفسه : 18 .

Ibid:18.

[57] المفارقة وصفاتها : دي. سي. ميويك : 16 .

The paradox and its qualities: D. C. MIWIC: 16.

[58] المصدر نفسه : 33، 34.

Ibid: 33,34.

[59] المصدر نفسه : 19.

Ibid : 19.

[60] المصدر نفسه : 61.

Ibid : 61.

[61] المصدر نفسه : 63.

Ibid : 63.

[62] النقد التحليلي، محمد محمد عناني، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة – د. ت : 42.

Analytical criticism, Muhammad Muhammad Anani, The Anglo-Egyptian Library, Cairo - Dr. D: 42.

[63] المفارقة وصفاتها : دي. سي. ميويك : 38 ، 44 .

The paradox and its qualities: D. C. Mewick: 38, 44.

[64] ملحمة كلكامش : طه باقر : منشورات وزارة الثقافة والإعلام –العراق : الطبعة الرابعة – 1980 م : اللوح الأول – العمود الثاني:77 .

The Epic of Gilgamesh: Taha Baqer: Publications of the Ministry of Culture and Information - Iraq: Fourth Edition - 1980 AD: Panel One - Second Column: 77.

[65] المفارقة وصفاتها : دي. سي. ميويك : 26 .

The paradox and its qualities: D. C. MIWIC: 26.

[66] المصدر نفسه : 26، 27 .

Ibid: 26,27.